المحاضرة الثاالثة: الحملة الاستعمارية الفرنسية على الجزائر

1-الخلفيات الدينية: تعود خلفيات ومطامح التوسع الاستعماري الفرنسي في الجزائر إلى القرون الوسطى حيث كانت فرنسا مدفوعة بالحقد الصليبي الدفين ضد الإسلام والمسلمين في الجزائر والأمة الإسلامية، وقد تجسد هذا الكره الدفين في الحلف الصليبي لمؤتمري فينا 1815 وإكس لاشابيل 1818، بحجة تحرير المسيحيين الموجودين بالجزائر، وتحطيم قوة الأسطول البحري الجزائري الذي كان يحمل لواء الجهاد في البحر الأبيض المتوسط أو ما أطلق عليه الأوربيون مصطلح القرصنة.

2-الأطماع الاقتصادية: كما كانت الاطماع الاقتصادية حافزا قويا في تحريك الحملة الاستعمارية الفرنسية ضد الجزائر اعتقادا منها أنها ستحصل على غنيمة في الجزائر تقدر ب 150 مليون فرنك فرنسي توجد بخزينة الداي.

3-دورالتواطؤ اليهودي: وللتواطؤ اليهودي كذلك دور بارز في إسقاط الجزائر في يد الاحتلال الفرنسي وذلك بعد أن نجح الأخوين بكري وبوشناق القادمين من إيطاليا في تأمين صفقات التموين بالقمح الجزائري لصالح فرنسا، وقد تراكمت الديون الجزائرية على الفرنسيين حتى بلغت 24 مليون فرنك فرنسي، والحقيقة أن الشركة اليهودية كان لها دور بارز في التواطؤ مع وزير الخارجية الفرنسي وقنصل فرنسا بالجزائر، وقامت بمخادعة حكومة الجزائر للتملص من تسديد الديون، هذا ما عتبره الداي حسين إهانة للجزائر، خاصة بعد أن جاهرت فرنسا بتنكرها للديون الجزائرية بالرغم من الرسائل التي وجهها الداي حسين إلى ملك فرنسا شارل العاشر، هذا الأخير الذي لم يكلف نفسه مشقة الإجابة عليها، وبمجرد افتضاح أمر اليهوديين فر بكري إلى مدينة ليفورن الإيطالية و استقر أخوه بوشناق بباريس بعد حصولهما على مستحقاتهما المالية من الحكومة الفرنسية.

4-افتعال أزمة الديون: كانت أزمة الديون دافعا أساسيا في افتعال أزمة سياسية حادة بين الجزائر وفرنسا وانتهت بلطم القنصل الفرنسي "دوفال" من طرف الداي حسين، في صبيحة يوم عيد الفطر 27 أفريل 1827، حينما قدم "دوفال" لتقديم التهاني بمناسبة العيد للداي، وفي اللقاء سأله الداي حول عدم رد الملك الفرنسي عن رسائله المتكررة حول مسألة الديون، كان جواب القنصل الفرنسي مهينا " كيف لملكنا أن يرد على من هو دونه" فغظب الداي وطرده من مجلسه بعد أن لطمه بالمروحة. لم تفوت فرنسا فرصة استغلال هذا الحادث واتخذت منه ذريعة لكسب التأييد والتعاطف الدولي لرد الاعتبار على الإهانة المزعومة والتي لحقت شرف فرنسا.

5-الأهداف الحقيقية للحملة الفرنسية: ويمكن أن نلخص الأهداف الحقيقية للحملة الفرنسية على الجزائر في النقاط الآتية:

- النزعة الصليبية الإنتقامية التي كانت تحركها الكنيسة ضد الإسلام والمسلمين، فكان الهدف هو تنصير الجزائر كمرحلة تمهيدية لنشر المسيحية في جميع مناطق إفريقيا.

- التعويض باحتلال الجزائر عما سرته فرنسا كم مستعمرات في القارة الأمريكية ومواجهة التوسع البريطاني في حوض البحر الأبيض المتوسط.

- تذمر الشعب الفرنسي من الحكم الاستبدادي لشارل العاشر، وتوجيه أنظار المعارضة إلى الخارج وإشغال الشعب بالحروب الخارجية.

- السيطرة على مقدرات الجزائر الاقتصادية واستغلال مواردها والسيطرة على التجارة الإفريقية.

- التخلص من الديون التي كانت في ذمتها تجاه الجزائر.

6-حادثة المروحة وشروط الاعتذار المهينة: تعود جذور الحملة الفرنسية على الجزائر إلى تاريخ 16 جوان 1827، بعدما فرض حصار البحري على السواحل الجزائرية، حيث انطلق هذا الحصار بعد شهر ونصف من رفض الداي حسين إعطاء ترضية للأسطول الفرنسي الراسي بساحل مدينة الجزائر، حيث اشترطت فرنسا:

- أن يذهب الداي حسين بنفسه ويقدم اعتذارا رسميا للقنصل الفرنسي.

- أن يرسل الداي وفدا رسميا برئاسة وزير البحرية الجزائري إلى السفينة الملكية الفرنسية ليقدم الاعتذار.

- أن يرفرف العلم الفرنسي على كل حصون الجزائر وتطلق مائة طلقة مدفعية تحية له.

- أن لا يتجاوز أجل قبول هذه الشروط 24 ساعة.

وقد اعتبر الداي حسين هذه الشروط مذلة ومهينة وقابلها بالرفض.

7-انطلاق الحملة العسكرية الفرنسية: وكرد فعل باشرت فرنسا في تحضير حملتها وانطلقت من ميناء "طولون" العسكري بقيادة وزير الحربية "بورمون" يوم 25 ماي 1830، متجهة إلى الجزائر وهي تتألف من 37000 جندي و1700 بحار و103 سفينة حربية، بالإضافة إلى عدد ضخم من السفن التجارية لحمل

الجنود والمؤن، وقد وصلت الحملة إلى مياه العاصمة الجزائرية في 14 جوان 1830، ونزلت بشبه جزيرة سيدي فرج غربي العاصمة وفق خطة الجاسوس "بوتان".

8- **الفشل في مواجهة الحملة واستسلام الداي حسين:** وفي غياب خطة عسكرية دفاعية، نجح الفرنسيون دون مقاومة تذكر، وسيطروا على سيدي فرج بعد انتصارهم على قوات الداي في معركة "سطاوالي"، وبعد الهزيمة راسل الداي حسين الجنرال "بورمون" يعرض عليه الصلح مقابل تنازل الجزائر عن كل الديون، والدفع نقدا كتعويض عن الاعتذار، وإعطاء جميع الامتيازات للتجارة الفرنسية، وتعويض جميع نفقات الحملة، ولكن "بورمون" رفض عرض الداي، وطالب باستسلام الداي وتسليم مفاتيح العاصمة وعرض عليه الشروط التالية:

- تسليم قلاع وحصون العاصمة وأبوابها والميناء صبيحة الخامس من جويلية.

- يتعهد بحفظ حياة الداي وممتلكاته الشخصية.

- يخير الداي بعد ذلك بأن يسافر صحبة أمواله وعائلته إلى المكان الذي يختاره وبين أن يبقى في المدينة مع أسرته في حماية القائد العام.

- كما تعهد بحفظ نفس الحقوق والحماية للجنود الأتراك.

- إقامة الشعائر المحمدية تكون حرة ولا يقع أي مساس بحقوق وبحرية السكان، ولا بدينهم ولا بأملاكهم ولا بتجارتهم أو صناعتهم وتحترم نساؤهم.

- يقع تبادل هذه الوثيقة الممضاة يوم 05 جويلية قبل الساعة العاشرة صباحا، حيث يستلم الجنود بعدها فورا القصبة وقلاع المدينة الأخرى.

وبمجرد توقيع الداي هذه الشروط القاسية، غادر الجزائر يوم 10 جويلية إلى نابولي ثم الإسكندرية، حيث قضى بقية حياته حيث توفي فيها عام 1838، وبعد تهجير الداي جاء الدور على بقية الاتراك فكان ترحيلهم يوم 11 جويلية 1830، وبلغ عددهم حوالي 5092 تم تهجيرهم إلى آسيا الصغرى (الأناضول).

وقد استولت فرنسا على كل موارد الحزينة الجزائرية والتي قدرت قيمتها بأكثر من 55 مليون فرنك فرنسي، ونشرت الرعب والدمار في كل أرجاء مدينة الجزائر فخربت المنازل والقصور، وحولت والمنشآت الدينية إلى ثكنات وكنائس، خارقين بذلك كل التعهدات التي قطعت للسكان.

9-عوامل الفشل في مواجهة الحملة الاستعمارية الفرنسية:

- تفشي الفوضى في القوة العسكرية، وتأزم الصراع على الحكم بين رياس البحر وضباط الإنكشارية.

- عدم مواكبة الأتراك العثمانيين للتطور الحضاري الحاصل في أوربا.

- ضعف شخصية السلاطين وتمرد الامراء المحليين عليهم.

مصادر ومراجع المحاضرة:

- عمار بوحوش، تاريخ الجزائر السياسي من البداية لغاية 1962، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.

- جون وولف، الجزائر وأوربا (1500-1830)، تر: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

- محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1515-1543)، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1980.

- نصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

- أبو القاسم سعد الله، أضواء تاريخية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005.

- فرناند بروديل، البحر المتوسط المجال والتاريخ، تر: عمر سالم، منشورات وزارة الثقافة تونس، 1990.

- جون وولف، الجزائر وأوربا (1500-1830)، تر: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا (1492- 1792)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1965.

- محمد العربي الزبيري، مدخل إلى تاريخ الجزائر الحديث، ج01، الجزائر، 1985.

- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام،مكتبة الحياة، بيروت، 1980.

- أمين محرز، الجزائر في عهد الأغوات (1659-1671)، دار البصائر للنش روالتوزيع، الجزائر، 2011.

- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه فارس، دار العلم للملايين، بيروت، 1988.